والتنظيمية، ان يتراجع من دون قائد، وان يعاود، من جديد، طرح سؤال المصير: من نحن؟ ولماذا؟ وماذا نريد؟ فكل المسلّمات والبديهيات السابقة التي بنى وحدته وتماسكه ووجوده ومستقبله عليها، لم تعد «صالحة للاستعمال»، واهتز اليقين «الايماني» بها.

فليست سمة العصر هي انتصار الاشتراكية وهزيمة الامبريالية ونهايتها. وليس العالم عالمين، اشتراكي ورأسمالي، بل عالم واحد مشترك ومترابط وذو تبعية متبادلة. وليست الاولوية للصراع الطبقي، بل للقيم الانسانية العامة، وتحديداً بقاء البشرية على قيد الحياة. وليست الحرب «الثورية» قابلة التغيير الاجتماعي، بل يمكن ان تكون فناء شاملاً للبشرية. وليس توازن القوى بل توازن المصالح. وليس اقتصاد مركزي موجّه، بل اقتصاد سوق. وليس حزباً طليعياً، أو حزباً قائداً. وليست مركزية ديمقراطية، بل تعددية حزبية، وتعددية داخل الحزب الشيوعي نفسه، الخ.

ولا شك في ان البيريسترويكا قد طوت صفحة اللينينية كاضافة نوعية الى الماركسية، او ماركسية عصر الامبريالية، كما كان، دائماً، يطلق عليها، بل ومسّت الكثير الكثير من مقولات وقوانين الماركسية. وفي واحدة من تجليات هذا المسّ، قال غورباتشيوف: «ان ماركس لم يقدّر، كل التقدير، امكانات التطوّر الذاتي الكامنة في الرأسمالية التي تمكّنت من استيعاب منجزات الثورة العلمية ـ التقنية وايجاد تلك البنى الاجتماعية ـ الاقتصادية التي ضمنت لها الحيوية وتحقيق مستوى عال نسبياً من الرفاهية لغالبية السكان في بلدان الرأسمالية المتطوّرة»(٨٣).

هكذا، وبسرعة خارقة، قياساً بالمدى الزمني الذي جرت فيه، كان ينهار ويتغيّر كل شيء: النموذج والفكر والسياسة والتحالفات. والاهمّ من ذلك ما أسفر عن البيريسترويكا من آثار مباشرة تتعلق بالموقف الجديد للاتحاد السوفياتي واوروبا الشرقية من اسرائيل، والتسوية، والهجرة السوفياتية الى اسرائيل.

ووجد اليسار الفلسطيني نفسه، ازاء كل ذلك، في مواجهة تحدّ قائم ومستمر يلحّ عليه بأسئلة غاية في الاهمية والخطورة. فكيف تفاعل اليسار الفلسطيني، حتى الآن، مع البيريسترويكا؟ كيف أثّرت فيه؟ وما هو موقفه من تأثيرها؟

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

لم يكن تأثير البيريسترويكا في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بالمستوى والدرجة عينهما عند الحزب الشيوعي الفلسطيني والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. فلم تحدث، في التنظيم، أيّة هزّات تنظيمية، أو فكرية، أو سياسية، عميقة؛ وقد تركّزت تأثيرات البيريسترويكا بدرجة ملحوظة على الكادرات الوسطى، وخاصة في أوساط المثقفين. وكانت الملاحظة الابرز، في هذا المجال، محاولة بعض هذه الكادرات التمرّد على قوانين المركزية والانضباط داخل التنظيم، وطرح آرائه ومواقفه التي قد لا تتفق مع الموقف المركزي في الجبهة، علناً، وخارج الاطر والمستويات الحزبية. ويقال ان ثمّة جهود تجرى، الآن، في الجبهة، لفتح حوار ونقاش داخلي حول البيريسترويكا، وذلك في سياق التحضير لمؤتمر الجبهة، المتوقع عقده في نهاية هذا العام، أو أوائل العام المقبل.

ويمكن للمرء ان يلحظ ان هامشاً أوسع من الديمقراطية الداخلية في التنظيم قد ميّز الحياة الداخلية في الجبهة خلال السنوات الاخيرة. وقد تجلّى ذلك في كثرة عدد المؤتمرات التي عقدتها، وتعقدها، الجبهة، ويشارك فيها عدد كبير من الكوادر. ولا شك في ان هذا الاسلوب خفّف، الى